الأهرام

١٩٥٦/٩/٣٠

هزيمة بعد هزيمة

وهذه هزيمة اخرى، تنذر بالهزيمة الكبرى!
كان مؤتمر لندن يضم ثلاثة عناصر من الدول
العنصر الاول الدول الغربية وكانت بريطانيا وفرنسا أشدها الحاحا في طلب الاتجاه الى القوة.

والعنصر الثاني الاتحاد السوفيتي وهو الاتحاد السوفيتي يزداد اهتماما بالملاحة في القناة المصرية من الناحية التجارية، أي بغض النظر عن الناحية السياسية لان نصيب الكتلة الشرقية من هذه الملاحة، وهو لا يزيد اليوم على ٥٪، سيتضاعف عن قريب لنمو التجارة بين دول أوروبا الشرقية وبين آسيا والشرق الاقصى بطريق الجنوب اكثر من نموه بطريق سيبيريا.

والعنصر الثالث دول من التي جمعها مؤتمر باندونج.

وكان شر ما تخشاه دول العنصر الاول ان تنهج سياسة قد تحمل دول العنصرين الآخرين على ان تتكتل لتناوئها. حتى لقد ذهب العقلاء من قادة الغرب الى أن نصرا محليا في قناة السويس يفضي الى هذا التكتل يكون نصرا وبيل العاقبة.

لذلك رأت الدول الثلاث في مؤتمر لندن ان تقل من حديثها عن الهيبة والقوة، وتكثر من حديثها عن الملاحة وما يكفل حريتها، لان الحديث عن الهيبة والقوة كان من قبيل التصرف السياسي الحرى بان يؤلب روسيا والمجموعة الثالثة من الدول على الدول الغربية. وكانت الدول الثلاث بقصرها الحديث على الملاحة وما يكفل حريتها تأمل حصر الجدال في مجال فني، تلتقي فيه الآراء والمصالح أيسر مما تلتقي في مجال سياسي، ومن ثم كانت الدول الثلاث تأمل على الاقل أن تضم اليها دولة او دولا من العنصر الثالث، اذا استحال عليها ان تفوز بموافقة الاتحاد السوفيتي.

والراجح أن كثيرين من الدعاة الى سياسة الدول الثلاث كانوا يرتقبون من روسيا، أو من الهند، أو من الدولتين اقرارها او اقرار احداهما الدول الغربية على تكليف هيئة دولية مهمة الرقابة للملاحة في القناة، ولو بشرط ان يجرى هذا النظام عينه على قناة بنامًا، او على مجارى المياه الاخرى التي من نوعها.

ولكن الدول الغربية لم تفز باقرار اية دولة من دول العنصرين الثاني والثالث لمشروع الرقابة الدولية، وتألبت عليه دول العنصرين الثاني والثالث لان هذه الدول جميعها ذهبت الى ان المبدأ الاساسي لاى حل يجب ان يكون احترام السيادة المصرية.

كانت الهزيمة الاولى.

ولما جاءت اللجنة الخماسية لعرض المشروع الذى انتهى اليه مؤتمر لندن وهو مشروع الرقابة الدولية، رأينا الخلاف يقوم بين الخمسة مع أن مهمتهم كانت الدفاع عن النظرة الغربية، كما رأينا هذا الخلاف يحدث اثره العميق خارج اللجنة. بل عرفنا لتسرب امريكا في هذه اللجنة مواقف صارت حديث الخاصة والعامة.

فكانت الهزيمة الثانية.

ثم اعلنت مصر مشروعها عقب رفضها مشروع دالاس فدعت مختلف الدول الى المفاوضة فيه وما مضت ايام حتى بددت الدول الثلاث مشروع الشركة الدولية بين البلاد التي تنتفع من قناتنا فدعت الى مؤتمر ثان يعقد في العاصمة الانجليزية لاقراره. ومن ثم تلقت الدول الغربية أى الصالحة معها دعوتين الى بحث مشروعين متناقضين وزادت شقة الخلف بينها في مواقفها من المشروعين، اذ رأينا مثلا ألمانيا الغربية والدول السكندينافية واسبانيا واثيوبيا تعلن انها لم تفصل بعد في امر الدعوة المصرية، وتلبي دعوة الدول الغربية دون التزام بما يقرره المؤتمر الثاني الذى سيعقد اجابة لهذه الدعوة او تطلب من الآن الاحتكام الى الامم المتحدة او تبدى من التحفظ ما يدل على استقلال في الرأى فصم عرى كثيرة لوحدة الدول الغربية والدول الصالحة معها.

فكانت الهزيمة الثالثة.

واليوم يجتمع مؤتمر لندن الثاني فتنحل روابط اخرى في هذه الوحدة، وتخطو الدول الثلاث الى التقهقر خطوة اخرى، خطوة واسعة الى حد أن الشركة التي كان خصومنا يريدونها سيطرة على الملاحة في قناتنا سيطرة تامة، تزاول مهمتها في الحال دون ان تسمع لمصر باية معارضة، تنقلب الى هيئة مهمتها مقصورة على ابلاغ مصر ما يتخذه المؤتمر من قرارات، وهى لا تعلم ما القرارات التي يتخذها بعد أن كانت هذه القرارات مقررة سلفا، لا بل تنقلب الى هيئة تطلب المفاوضة! مفاوضة من؟ مفاوضة مصر التي كانت الدول الثلاث تأبى ان تسمع لها كلمة! وفيم تفاوض مصر؟ في حل سلمى للمشكلة بعد أن كانت الدول الثلاث لاترى الا التوعد باستخدام القوة سبيلا الى حل المشكلة! لماذا؟ لأن بقية من الرشد، او الانصاف، او الحذر، قد حركت نفوس الدول المنقادة للدول الثلاث، وتحول الى عرض المشكلة على الامم المتحدة. ومن ثم رأت الدول الثلاث أن مشروع الشركة مفضوح فلا بد من ستر لنياته بتكليف الشركة مهمة بريئة، لاترى الدول المتشككة حرجا في أن تجتمع عليها الكلمة.

فكانت الهزيمة الرابعة.

ويقع الخلاف بين الدول الثلاث المتساندين يقع في كل منها بين روادها. ففي بريطانيا كما في فرنسا، كما في الولايات المتحدة، خلاف بين اعضاء الوزارة، خلاف بين اعضاء البرلمان، خلاف بين اعضاء الصحافة.

دول متخاذلة متنافرة، امامها دولة متحدة تحف بها دول عربية وغير عربية تشد ازرها في ثباتها على المبدأ ما شابته شائبة.

الى اللقاء عند الهزيمة الكبرى!

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية